المبحث السابع

النـــــار

المطلب الأول

النـــار، وعـذابهـا

النار دار العـذاب، أعدها الله للكافرين والعصـاة فيـها أشدّ العذاب، وصنوف العقوبات، وخزنتها ملائكة غلاظ شداد. والكفار مخلدون فيها، طعامهم الزقوم، وشرابهم الحميم.

قال تعالى يحذر منها عباده المؤمنين: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا* وقـودها الناس والحـجارة* عليـها مـلائكة غـلاظ شـداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إنّ جـهنم كـانت مـرصـادا* للطاغين مآبا* لابثين فيـها أحـقـابا* لايذوقـون فيـها بردا ولاشـرابا* إلا حـميـمـا وغـساقـا* جـزاء وفاقا﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وإنّ جهنم لموعدهم أجمعين* لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم﴾(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حرّ جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله. قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلها مثل حرها»(٤).

(١) سورة التحريم، الآية [٦].

(٢) سورة النبأ، الآيات [٢١-٢٦].

(٣) سورة الحجر، الآيتان [٤٣-٤٤].

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح ٤/ ٩٠. ومسلم في الصحيح ٤/ ٢١٨٤-واللفظ له-

وقال عليه الصلاة والسلام: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاثة: بكلّ جبار عنيد، وبكلّ من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين»[1].

وقد تحدث الشيخ الأمين رحمه الله عن صفة النار، عدد أبوابها، وأن لها بصراً ولساناً وإرادة وأنها أشد من نار الدنيا بسبعين ضعفاً

ومما قاله رحمه الله في وصف شدتها: (ونار الآخرة لو شددت نار الدنيا إلى منتهاها لكانت نار الآخرة أشدّ منها بسبعين ضعفا. وهي مسودة مظلمة يحطم بعضها بعضا»[2].

وقال في وصف شرابها عند تفسير قوله تعالى: ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾[3]: «ذكر في هذه الآية الكريمة أنّ الذين كفروا يعذبون يوم القيامة بشرب الحميم، وبالعذاب الأليم، والحميم: الماء الحار. وذكر أوصاف هذا الحميم في آيات أخر: كقوله: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾[4]، وقوله: ﴿وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾[5]، وقوله: ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود﴾[6]، وقوله: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾ الآية[7]، وقوله: ﴿فشاربون عليه من الحميم* فشاربون شرب الهيم﴾[8]. وذكر في موضع آخر أنّ الماء الذي يسقون صديد- أعاذنا الله وإخواننا المسلمين من ذلك

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٤/ ٧٠١، وقال: حديث حسن غريب صحيح. وقد صححه الألباني انظر صحيح الجامع ٢/ ١٣٣٨).

(٢) معارج الصعود ص٢٥٢.

(٣) سورة يونس، الآية [٤].

(٤) سورة الرحمن، الآية [٤٤].

(٥) سورة محمد، الآية [١٥].

(٦) سورة الحج، الآيتان [١٩-٢٠].

(٧) سورة الكهف، الآية [٢٩].

(٨) سورة الواقعة، الآيتان [٥٤-٥٥].

بفضله ورحمته- وذلك في قوله تعالى: ﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد* يتجرعه ولايكاد يسيغه﴾ الآية[1]. وذكر في موضع آخر أنهم يسقون مع الحميم الغساق؛ كقوله: ﴿هذا فليذوقوه حميم وغساق* وآخر من شكله أزواج﴾[2]، وقوله: ﴿لايذوقون فيها بردا ولاشرابا* إلا حميما وغساقا﴾[3]؛ والغساق: صديد أهل النار- أعاذنا الله والمسلمين منها-، وأصله: غسقت العين: سال دمعها. وقيل: هو لغة البارد المنتن. والحميم الآني: الماء البالغ غاية الحرارة. والمهل: دُرْدي[4] الزيت أو المذاب من النحاس والرصاص ونحو ذلك، والآيات المبيِّنَة لأنواع عذاب أهل النار كثيرة جدا[5].

وأما عدد أبواب جهنم؛ فقد ذكره الشيخ رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فادخلوا أبواب جهنم﴾ الآية[6] فقال: «لم يبين هنا عدد أبوابها، ولكنه بين ذلك في سورة الحجر في قوله جلّ وعلا: ﴿لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم﴾[7] أرجو الله أن يعيذنا وإخواننا المسلمين منها ومن جميع أبوابها إنه رحيم كريم»[8].

ثم ذكر رحمه الله أن النار تتكام وتبصر فقال رحمه الله: «اعلم أن التحقيق أن النار تبصر الكفار يوم القيامة، كما صرح الله بذلك في قوله

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان [١٦-١٧].
(٢) سورة ص، الآيتان [٥٧-٥٨].
(٣) سورة النبأ، الآيتان [٢٤-٢٥].
(٤) دردي الزيت وغيره: ما يبقى في أسفله. وأصله: ما يركد في أسفل كلّ مائع؛ كالأشربة الأدهان. (لسان العرب ٣/ ١٦٦).
(٥) أضواء البيان ٢/ ٤٧٧.
(٦) سورة النحل، الآية [٢٩].
(٧) سورة الحجر، الآية [٤٤].
(٨) أضواء البيان ٣/ ٣٦٢.

هنا: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾[1]؛ ورؤيتها إياهم من مكان بعيد تدلّ على حدة بصرها كما لايخفى.

كما أنّ النار تتكلم كما صرح الله به في قوله: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل مزيد﴾[2]، والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، كحديث محاجة النار مع الجنة[3]، وكحديث اشتكائها إلى ربها فأذن لها في نفسين[4]، ونحوذلك. ويكفي في ذلك أنّ الله جلّ وعلا صرح في هذه الآية أنها تراهم، وأنّ لها تغيظا على الكفار، وأنها تقول هل من مزيد»[5].

وقال رحمه الله في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور* تكاد تميز من الغيظ﴾[6]: إثبات أنّ للنار حسا وإدراكا وإرادة، والقران أثبت للنار أنها تغتاظ، وتبصر، وتتكلم، وتطلب المزيد؛ كما قال هنا: ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾[7].

وقال: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾[8]، وقال: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾[9]،[10].

وقد ردّ الشيخ الأمين رحمه الله على من تأول تلك النصوص وصرفها عن حقيقتها؛ فقال رحمه الله: (واعلم أنّ مايزعمه كثير من المفسرين وغيرهم من المنتسبين للعلم من أن النار لاتبصر، ولاتتكلم، ولا تغتاظ،

(١) سورة الفرقان، الآية [١٢].
(٢) سورة ق، الآية [٣٠].
(٣) لعله يعني حديث: «احتجت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون..»، أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٦.
(٤) انظر صحيح البخاري ٤/ ٨٩.
(٥) أضواء البيان ٦/ ٢٨٨-٢٨٩.
(٦) سورة الملك، الآيتان [٧-٨].
(٧) سورة الملك، الآية [٨].
(٨) سورة الفرقان، الآية [١٢].
(٩) سورة ق، الآية [٣٠].
(١٠) تتمة الشيخ عطية سالم لأضواء البيان ٨/ ٣٩٥.

وأنّ ذلك كله من قبيل المجاز، أو أن الذي يفعل ذلك خزنتها: كله باطل، ولامعول عليه؛ لمخالفته نصوص الوحي الصحيحة بلا مستند والحقّ هو ما ذكرنا وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم على أنّ النصوص من الكتاب والسنة لايجوز صرفها عن ظاهرها إلا بدليل يجب الرجوع إليه كما هو معلوم في محله. وقال القرطبي في تفسيره هذه الآية الكريمة: إنّ القول بأنّ النار تراهم هو الأصحّ»[1]،[2].

وقد ذكر الشيخ الأمين رحمه الله أنّ أهل النار هم أكثر الخلق؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولكنّ أكثر الناس لايؤمنون﴾[3]: «هذه الآية تدلّ على أنّ أكثر الناس ليسوا بمؤمنين؛ فأهل النار هم الأكثر؛ كما بين ذلك في آيات كثيرة وأحاديث؛ كما قال تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأولين﴾[5].

وقد بينت الأحاديث الصحيحة أنّ نصيب النار تسعة وتسعون وتسعمائة من الألف، وأنّ نصيب الجنة واحد من الألف»[6]،[7].

ثمّ بين الشيخ الأمين رحمه الله أنّ أهل النار يدخلونها جماعةجماعة؛ كما دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾[8]»[9].

ويتضح من وصف الشيخ الأمين رحمه الله للنار- أعاذنا الله منها بكرمه- شدة تتبعه للأثر، ودقة فهمه له، وتوضيح الوصف بالأدلة من القرآن الكريم، كما هو دأبه رحمه الله في تفسير القرآن بالقرآن.

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٧.
(٢) أضواء البيان ٦/ ٢٨٩. وانظر المصدر نفسه ٧/ ٦٥٣.
(٣) سورة هود، الآية [١٧].
(٤) سورة يوسف، الآية [١٠٣].
(٥) سورة الصافات، الآية [٧١].
(٦) انظر: صحيح البخاري ٧/ ١٩٥-١٩٦. وصحيح مسلم ١/ ٢٠١.
(٧) معارج الصعود ص٧٥.
(٨) سورة الأعراف، الآية [٣٨].
(٩) انظر تتمة الشيخ عطية سالم لأضواء البيان ٨/ ٣٩٥.

المطلب الثاني

بقاء النار، والردّ على من قال بفنائها

دلّ الكتاب والسنة على أبدية النار، وبقاء مَنْ فيها ممن يستحقّ البقاء تحت أنواع العذاب. أما الموحدون فلا بدّ من خروجهم منها برحمة أرحم الراحمين.

والآيات والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة؛ منها قول الله تعالى: ﴿إنّ الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيرا* خالدين فيها أبدا لايجدون وليا ولانصيرا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها﴾[3].

ومن الأحاديث حديث الشفاعة الطويل، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «. . . ثمّ أعود الرابعة فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود»[4].

وقال صلى الله عليه وسلم: «يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثمّ يقوم مؤذن بينهم، فيقول: يا أهل الجنة لاموت، ويا أهل النار لاموت، كلّ خالد فيما هو فيه»[5].

وعن أبي سعيد، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «أما أهل النار

(١) سورة الأحزاب، الآيتان [٦٤-٦٥].
(٢) سورة المائدة، الآية [٣٧].
(٣) سورة فاطر، الآية [٣٦].
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٤٧ .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٩.

الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولايحيون. ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم- أو قال بخطاياهم- فأماتهم الله إماتة، حتى إذا كانوا فحما أذن في الشفاعة...»[1].

وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذه المسألة، ودرسها من جوانب عدة في معرض تفسيره لبعض الآيات المتعلقة بالموضوع؛ فقد أشار في مواضع إلى بقاء أهل النار وعدم موتهم، وذكر الأدلة على ذلك. وأكد في مواضع أخرى عدم خروج الكفار من النار، بل خلودهم الأبدي فيها. وأفاض رحمه الله في أماكن متفرقة في تقرير عدم فناء النار، وردّ على من قال بذلك.

ومن كلامه يرحمه الله في عدم موت أهل النار، ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾[2]:

«وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قال إنكم ماكثون﴾ دليل على أنهم لايجابون إلى الموت بل يمكثون في النار معذبين إلى غير نهاية. وقد دلّ القرآن العظيم على أنهم لايموتون فيها فيستريحوا بالموت، ولاتفنى هي عنهم، ولايخفف عنهم عذابها، ولايخرجون منها. أما كونهم لايموتون فيها: فالذي دلّ عليه قوله هنا: ﴿قال إنكم ماكثون﴾[3] قد دلت عليه آيات من كتاب الله؛ كقوله تعالى: ﴿إنه من يأت ربه مجرما فإنّ له جهنم لايموت فيها ولايحيى﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ويتجنبها الأشقى* الذي يصلى النار الكبرى* ثم لايموت فيها ولايحيى﴾[5]، وقوله تعالى:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٧٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية [٧٧]

(٣) سورة الزخرف، الآية [٧٧]

(٤) سورة طه، الآية [٧٤].

(٥) سورة الأعلى، الآيات [١١-١٣].

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا﴾ الآية [1]، وقوله تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كلّ مكان وما هو بميت﴾ الآية[2]»[3].

وقال رحمه الله في موضع آخر: « وقال تعالى في عدم موتهم في النار: ﴿لايقضى عليهم فيموتوا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كلّ مكان وما هو بميت﴾[5]، وقال تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾[6].

وقال تعالى: ﴿إنه من يأت ربه مجرما فإنّ له جهنم لايموت فيها ولايحيى﴾[7]. وقال تعالى: ﴿ويتجنبها الأشقى* الذي يصلى النار الكبرى* ثمّ لايموت فيها ولايحيى﴾[8]، ولما قالوا: ﴿ليقض علينا ربك﴾[9] أجابهم بقوله: ﴿إنكم ماكثون﴾[10]،[11].

ثمّ ذكر الشيخ الأمين رحمه الله الأدلة على عدم خروج أهل النار: فقال: «وأما كونهم لايخرجون منها: فقد جاء موضحا في آيات من كتاب الله؛ كقوله تعالى في البقرة: ﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾[12]، وقوله تعالى في المائدة: ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾[13]، وقوله

(١) سورة فاطر، الآية [٣٦].
(٢) سورة إبراهيم، الآية [١٧].
(٣) أضواء البيان ٧/ ٢٨٥-٢٨٦.
(٤) سورة فاطر، الآية [٣٦].
(٥) سورة إبراهيم، الآية [١٧].
(٦) سورة النساء، الآية [٥٦].
(٧) سورة طه، الآية [٧٤].
(٨) سورة الأعلى، الايات [١١-١٣].
(٩) سورة الزخرف، الآية [٧٧].
(١٠) سورة الزخرف، الآية [٧٧].
(١١) أضواء البيان ٧/ ٩٣.
(١٢) سورة البقرة، الاية [١٦٧].
(١٣) سورة المائدة، الآية [٣٧].

تعالى في الحج: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها﴾ الآية[1]، وقوله تعالى في السجدة: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾[2]

وقوله تعالى في الجاثية: ﴿فاليوم لايخرجون منها ولاهم يستعتبون﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات»[4].

أما كلامه رحمه الله عن بقاء النار، وعدم فنائها: فقد أطال النفس فيه جدا، وناقش من قال بفنائها بالأدلة السمعية والمنطقية، وتعقب أدلتهم وأسقطها، وأوضح معنى الآيات التي توهم فناء النار، مبينا أن لادلالة فيها على ذلك.

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾[5]: «هذه الآية الكريمة يفهم منها كون عذاب أهل النار غير باق بقاء لا انقطاع له أبدا.

ونظيرها قوله تعالى: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق* خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿لابثين فيها أحقابا﴾[7]. وقد جاءت آيات تدلّ على أنّ عذابهم لا انقطاع له؛ كقوله: ﴿خالدين فيها أبداً﴾[8]،[9].

---

(١) سورة الحج، الآية (٢٢).
(٢) سورة السجدة، الآية [٢٠].
(٣) سورة الجاثية، الآية [٣٥].
(٤) أضواء البيان ٧/ ٢٨٦.
(٥) سورة الأنعام، الآية [١٢٨].
(٦) سورة هود، الآيتان [١٠٦-١٠٧].
(٧) سورة النبأ، الآية [٢٣].
(٨) سورة النساء، الآية [١٦٩].
(٩) دفع إيهام الاضطراب- الملحق بأضواء البيان ١٠/ ١٢٢.

ثمّ ذكر الشيخ رحمه الله الجواب عن هذا الإشكال، دافعا التعارض، ونافيا التوهم، ومبينا أنّ هذه الآيات يمكن أن تحمل على أحد ثلاثة أوجه؛ فقال مبينا هذه الأوجه: أحدهما: أنّ قوله تعالى: ﴿إلا ما شاء الله﴾[1]؛ معناه: إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين. وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنّ بعض أهل النار يخرجون منها، وهم أهل الكبائر من الموحدين، ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة[2]، والضحاك[3]، وأبي سنان[4]، وخالد بن معدان[5]، واختاره ابن جرير. وغاية ما في هذا القول: إطلاق «ما»، وإرادة «من»، ونظيره في القرآن: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾[6].

الثاني: أنّ المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم في مصيرهم قاله ابن جرير أيضا.

الوجه الثالث: أنّ قوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾[7] فيه إجمال، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبدا، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له. والظهور من المرجحات، فالظاهر مقدم على المجمل كما تقرر في الأصول»[8].

(١) سورة الأنعام، الآية [١٢٨].
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد؛ صاحب التفسير تابعي جليل. توفى سنة (١٠٢هـ).
(انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٨. والبداية والنهاية ٩/ ٢٣١).
(٤) هو ضرار بن مرة الكوفي الشيباني. إمام ثقة فاضل. توفى سنة (١٣٢هـ). (تهذيب التهذيب ٤/ ٤٥٧).
(٥) هو الإمام أبو عبدالله خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي الحمصي. تابعي جليل، شيخ أهل الشام. توفى سنة (١٠٣هـ).
(انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٦. والبداية والنهاية ٩/ ٢٣٩).
(٦) سورة النساء، الآية [٣].
(٧) سورة الأنعام الآية [١٢٨].
(٨) دفع إيهام الاضطراب- الملحق بالأضواء ١٠/ ١٢٣.

وفي موضع آخر قال في الجمع بين هذه الآيات: «والجواب الحقّ أنّ أهل النار الكفرة خالدون فيها خلودا لا انقطاع له البتة.

«والاستثناء بالمشيئة كما صرح به في أهل النار صرح به كذلك في أهل الجنة، مع أنه لايقول أحد ممن يقول بانقطاع النار بانقطاع الجنة؛ كما قال تعالى هنا في سورة هود: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾[1]؛ وهذه المشيئة مجملة، لم نعرف ما أخرجته. والأدلة المنفصلة وضحت أنّ المشيئة اقتضت الخلود الأبدي؛ كما قال تعالى في أهل الجنة: ﴿إنّ هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إنّ المجرمين في عذاب جهنم خالدون* لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾[4]، وقال تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إنّ عذابها كان غراما﴾[5]، وقال تعالى: «خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون»[6]، وقال تعالى: ﴿مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا﴾[7]، والفعل بعد كلما يتكرر بتكررها: فمن ادعى خبوة للنار نهائية تفنى بها ليس بعده سعير، يردّ عليه بهذه الآية. ولو قيل للعبد: كلما جاء أحد أكرمه لزمه ذلك، ولاحقّ له أن يتعذر بأنه لم يفهم التكرار»[8].

(١) سورة هود، الآية [١٠٨].
(٢) سورة ص، الآية [٥٤].
(٣) سورة النحل، الآية [٩٦].
(٤) سورة الزخرف، الآيتان [٧٤-٧٥].
(٥) سورة الفرقان، الآية [٦٥].
(٦) سورة البقرة، الآية [١٦٢].
(٧) سورة الإسراء، الآية [٩٧].
(٨) معارج الصعود ص ٢٥٥، هذا ولم يشر الشيخ رحمه الله إلى الوجهين السابقين، مما يدلّ على أنّ الوجه الثالث هو الراجح عنده، فاقتصر على ذكره.

أما قوله تعالى: ﴿لابثين أحقابا﴾[1]: فليست دالة على فناء النار كما زعم من قال بفنائها، وقد ذكر الشيخ الأمين أنها لاتدلّ على ذلك من عدة أوجه، أظهر هذه الأوجه عنده بينه في قوله: ﴿لابثين فيها أحقابا﴾: متعلق بما بعده؛ أي لابثين فيها أحقابا في حال كونهم لايذوقون فيها بردا ولاشرابا إلا حميما وغساقا، فإذا انقضت تلك الأحقاب عذبوا بأنواع أخر من أنواع العذاب غير الحميم والغساق. ويدلّ لهذا تصريحه تعالى بأنهم يعذبون بأنواع أخر من أنواع العذاب غير الحميم والغساق في قوله: ﴿هذا فليذوقوه حميم وغساق* وآخر من شكله أزواج﴾[2][3]، أما مناقشته رحمه الله لمن قال بفناء النار: فقد أورد عليهم رحمه الله بالتقسيم والسبر خمس حالات تكون عليها النار، ويكون عليها أهلها، ثمّ أجاب عن أربع حالات منها بما يدلّ على بطلانها مؤيدا إجابته بآيات قرآنية؛ فقال رحمه الله: «إنّ المقام لايخلو من إحدى خمس حالات بالتقسيم الصحيح، وغيرها راجع إليها: **الأولى:** أن يقال بفناء النار، وأنّ استراحتهم من العذاب بسبب فنائها. **الثانية:** أن يقال إنهم ماتوا وهي باقية. **الثالثة:** أن يقال إنهم أخرجوا منها وهي باقية. **الرابعة:** أن يقال إنهم باقون فيها إلا أنّ العذاب يخفّ عليهم، وذهاب العذاب رأسا واستحالته لذة فاكتفينا به لدلالة نفيه على نفيهما. وكلّ هذه الأقسام الأربعة يدل القرآن على بطلانه»[4].

وقد أجاب رحمه الله على الحالة الأولى بقوله: «أما فناؤها: فقد نصّ تعالى على عدمه بقوله: ﴿كلما خبت زدناهم سعيرا﴾[5].

---

(١) سورة النبأ، الآية [٢٣].

(٢) سورة ص، الآيتان [٥٧-٥٨].

(٣) دفع إيهام الاضطراب- الملحق بأضواء البيان ١٠/ ٣٠٧.

وانظر معارج الصعود ص٢٥٦؛ فقد ذكر فيه الشيخ الأمين رحمه الله هذا الوجه فقط.

(٤) دفع إيهام الاضطراب- الملحق بالأضواء ١٠/ ١٢٤-

(٥) سورة الإسراء، الآية [٩٧].

وقد قال تعالى: ﴿إلا ما شاء ربك﴾[1] في خلود أهل الجنة وخلود أهل النار، وبين عدم الانقطاع في خلود أهل الجنة بقوله: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾[2]، وبقوله: ﴿إنّ هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾[3]، وقوله: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾[4].

وبين عدم الانقطاع في خلود أهل النار بقوله: ﴿كلما خبت زدناهم سعيرا﴾[5]. فمن يقول إنّ للنار خبوة ليس بعدها زيادة سعير: ردّ عليه بهذه الآية الكريمة. ومعلوم أنّ «كلما» تقتضي التكرار بتكرر الفعل الذي بعدها، ونظيرها قوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها﴾ الآية»[6]»[7].

وأما الحالة الثانية فقد بين الشيخ رحمه الله بطلانها بقوله: «وأما موتهم: فقد نصّ تعالى على عدمه بقوله: ﴿لايقضى عليهم فيموتوا﴾[8]، وقوله: ﴿لايموت ولايحيى﴾[9]، وقوله: ﴿ويأتيه الموت من كلّ مكان وماهو بميت﴾[10]. وقد بين صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أنّ الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح، فيذبح. وإذا ذبح الموت حمل اليقين بأنه لاموت؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: «ويقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»[11]»[12].

---

(١) سورة هود، من الآيتين ﴿١٠٧، ١٠٨﴾.
(٢) سورة هود، الاية ﴿١٠٨﴾.
(٣) سورة ص، الآية ﴿٥٤﴾.
(٤) سورة النحل، الآية ﴿٩٦﴾.
(٥) سورة الإسراء، الآية [٩٧].
(٦) سورة النساء، الآية [٥٦].
(٧) دفع إيهام الاضطراب ١٠/ ١٢٥.
(٨) سورة فاطر، الآية [٣٦].
(٩) سورة طه، الآية [٧٤].
(١٠) سورة إبراهيم، الآية [١٧].
(١١) صحيح البخاري ٤/ ٣١٦. وصحيح مسلم ٤/ ٢١٨٨.
(١٢) دفع إيهام الاضطراب ١٠/ ١٢٥.

وعن الحالة الثالثة أجاب رحمه الله بقوله: « وأما إخراجهم منها: فنصّ تعالى على عدمه بقوله: ﴿وما هم بخارجين من النار﴾[1]، وبقوله ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾[2]، وبقوله: ﴿وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾[3]»[4].

وأما الحالة الرابعة، فقد أجاب عنها رحمه الله بقوله: «وأما تخفيف العذاب عنهم: فنصّ تعالى على عدمه بقوله: ﴿ولايخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كلّ كفور﴾[5]، وقوله: ﴿فلن نزيدكم إلا عذابا﴾[6]، وقوله: ﴿لايفترعنهم وهم فيه مبلسون﴾[7]، وقوله: ﴿إنّ عذابها كان غراما﴾[8]، وقوله: ﴿فسوف يكون لزاما﴾[9]، وقوله تعالى ﴿لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون﴾[10]، وقوله: ﴿ولهم عذاب مقيم﴾[11]. ولايخفى أنّ قوله: ﴿ولايخفف عنهم من عذابها﴾[12]، وقوله ﴿لايفتر عنهم﴾[13]: كلاهما فعل في سياق النفي؛ فحرف النفي ينفي المصدر الكامن في الفعل، فهو في معنى: لاتخفيف للعذاب عنهم، ولاتفتير له. والقول بفنائها يلزمه تخفيف العذاب وتفتيره المنفيان في هذه الآيات، بل يلزمه ذهابهما رأسا، كما أنه يلزمه نفي ملازمة العذاب المنصوص عليها

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٦٧].
(٢) سورة السجدة، الآية [٢٠].
(٣) سورة المائدة، الآية [٣٧].
(٤) دفع إيهام الاضطراب ١٠/ ١٢٥.
(٥) سورة فاطر، الاية [٣٦].
(٦) سورة النبأ، الآية [٣٠].
(٧) سورة الزخرف، الاية [٧٥].
(٨) سورة الفرقان، الآية [٦٥].
(٩) سورة الفرقان، الآية [٧٧].
(١٠) سورة آل عمران، الآية [٨٨].
(١١) سورة المائدة، الآية [٣٧].
(١٢) سورة فاطر، الآية [٣٦].
(١٣) سورة الزخرف، الآية [٧٥].

بقوله: ﴿فسوف يكون لزاما﴾[1]، وقوله: ﴿إنّ عذابها كان غراما﴾[2]. وإقامته المنصوص عليها بقوله: ﴿ولهم عذاب مقيم﴾[3] فظاهر هذه الآيات عدم فناء النار المصرح به في قوله: ﴿كلما خبت زدناهم سعيرا﴾[4]»[5].

ثمّ ختم هذه الردود بقوله: «فإذا تبين بهذه النصوص بطلان جميع هذه الأقسام، تعين القسم الخامس الذي هو خلودهم فيها أبدا بلا انقطاع ولاتخفيف بالتقسيم والسبر الصحيح»[6].

ثمّ أورد الشيخ الأمين رحمه الله ما احتج به من قال بفناء النار، فقال: «وما احتج به بعض العلماء [7] من أنه لو فرض أنّ الله أخبر بعدم فنائها أنّ

(١) سورة الفرقان، الآية [٧٧].
(٢) سورة الفرقان، الآية [٦٥].
(٣) سورة المائدة، الآية [٣٧]
(٤) سورة الإسراء، الآية [٩٧].
(٥) دفع إيهام الاضطراب- الملحق بأضواء البيان ١٠/ ١٢٥-١٢٦.
(٦) المصدر نفسه ١٠/ ١٢٧.
(٧) ذكر الشيخ الأمين رحمه الله أنّ ممن قال بذلك الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه حادي الأرواح (انظر معارج الصعود ص ٢٥٥). وقد نبه د/ عبدالله قادري: تلميذ الشيخ الأمين على أنّ ابن القيم رحمه الله لم يجزم بفناء النار، وإنما ساق أدلة القائلين بذلك موضحا أوجه استدلالهم. ومن عادته رحمه الله أنه إذا ذكر اختلاف العلماء بين أدلتهم ووجهها حتى كأنه هو صاحب القول، وإن كان في الواقع لم يجزم به، أو كان على خلافه. ثم ذكر د/ عبدالله القادري دليلين على عدم قول ابن القيم بفناء النار: الأول: قوله بعد ذكر الآراء في فناء النار وبقائها: (فإن قيل: فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قيل: إلى قوله تعالى: ﴿إنّ ربك فعال لما يريد﴾، وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه؛ حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء، وقال: ثمّ يفعل الله بعد ذلك ما يشاء بل وإلى هنا انتهت أقدام الخلائق). الأمر الثاني: أنه رحمه الله صرح في كتابه الوابل الصيب أنّ النار كالجنة لاتفنى. وأنّ النار التي تفنى التي يعذب الله فيها عصاة المؤمنين الذين لايخلدون في النار. وبهذا يعلم أنّ ابن القيم قطع بعدم فناء النار، وأنّ كلامه الذي فيه احتمال؛ في كتاب حادي الأرواح يجب أن يفسر بكلامه الصحيح المبين في كتاب الوابل الصيب. ولاشك أنّ فضيلة شيخنا المفسر لو اطلع على هذا النص من الوابل الصيب لأخذ به في مذهب ابن القيم؛ لأنه صاحب أضواء البيان الذي يفسر القرآن بالقرآن. وكلام الناس يفسر بعضه بعضا. انتهى باختصار من تعليق د/ القادري على معارج الصعود ص٢٥٧.

ذلك لايمنع فناءها؛ لأنه وعيد، وإخلاف الوعيد من الحسن لامن القبيح. وأنّ الله تعالى ذكر أنه لايخلف وعده، ولم يذكر أنه لايخلف وعيده. وأنّ الشاعر قال:

وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي»[1].

وقد ردّ رحمه الله على هذه الشبه بقوله: «فالظاهر عدم صحته لأمرين: الأول: أنه يلزم جواز ألا يدخل النار كافر؛ لأن الخبر بذلك وعيد، وإخلافه على هذا القول لابأس به. الثاني: أنه تعالى صرح بحق وعيده على من كذب رسله، حيث قال: ﴿كلّ كذب الرسل فحقّ وعيد﴾[2]. وقد تقرر في مسلك النص من مسالك العلة أنّ الفاء من حروف التعليل؛ كقولهم: سها فسجد؛ أي سجد لعلة سهوه. وسرق فقطعت يده؛ أي لعلة سرقته. فقوله: ﴿كلّ كذب الرسل فحقّ وعيد﴾[3]؛ أي وجب وقوع الوعيد عليهم لعلة تكذيب الرسل. ونظيرها قوله تعالى: ﴿إن كلّ إلا كذب الرسل فحقّ عقاب﴾[4]. ومن الأدلة الصريحة في ذلك: تصريحه تعالى بأنّ قوله لايبدل فيما أوعد به أهل النار؛ حيث قال: ﴿لاتختصموا لديّ وقد قدمت إليكم بالوعيد* ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد﴾[5]. ويستأنس لذلك بظاهر قوله: ﴿واخشوا يوما لايجزي والد عن ولده- إلى قوله- إنّ وعد الله حقّ﴾[6]، وقوله: ﴿إنّ عذاب ربك لواقع﴾[7].

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ١٠/ ١٢٦. وانظر معارج الصعود ص٢٥٥.

(٢) سورة ق، الآية [١٤].

(٣) سورة ق، الآية [١٤].

(٤) سورة ص، الآية [١٤].

(٥) سورة ق، الآيتان [٢٨-٢٩].

(٦) سورة لقمان، الآية [٣٣].

(٧) سورة الطور، الآية [٧].

فالظاهر أنّ الوعيد الذي يجوز إخلافه وعيد عصاة المؤمنين؛ لأنّ الله بين ذلك بقوله: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1]»[2].

وفي آخر هذا المبحث أجاب رحمه الله عن شبهة للملاحدة؛ وهي قولهم: «لاشك أنّ ربكم في غاية الإنصاف والعدل، ولكن يشكل عليه الجواب على هذا السؤال، وهو: كيف يكون عصيان الكافر في مدة قليلة جدا، وعذابه يستمر إلى ما لانهاية، مع أنّ مقتضى العدل أن يعذب بقدر ما عصى؟ فأين الإنصاف وأين العدل؟!)،[3]؛ فقال رحمه الله: (والجواب أنّ سبب هذا الاستمرار هوملازمة الخبث لذلك الكافر دائما، وعدم مفارقته له في أيّ حال من الأحوال؛ فهو منطو عليه لايزول، وباستمرار السبب الذي هو الخبث استمر المسبب الذي هو العذاب. والدليل على استمرار خبثه: قوله تعالى: «ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردّ ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين* بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون»[4]؛ فبديمومة السبب الذي هو الكفر دام المسبب الذي هو العذاب»[5]

وقال الشيخ الأمين رحمه الله في موضع آخر: «ولاغرابة في ذلك؛ لأنّ خبثهم الطبيعي دائم لايزول، فكان جزاؤهم دائما لايزول. والدليل على أنّ خبثهم لايزول: قوله تعالى: ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم﴾ الآية[6]. فقوله: «خيرا» نكرة في سياق الشرط؛ فهي تعمّ، فلو كان فيهم خير ما في وقت لعلمه الله... وعذاب الكفار للإهانة والانتقام، لا

---

(١) سورة النساء، الآية [١١٦].

(٢) دفع إيهام الاضطراب ١٠/ ١٢٧. وانظر معارج الصعود ص٢٥٦.

(٣) معارج الصعود ص٢٥٨.

(٤) سورة الأنعام، الايتان [٢٧-٢٨].

(٥) معارج الصعود ص٢٥٨.

(٦) سورة الأنفال، الآية [٢٣].

للتطهير والتمحيص، كما أشار له تعالى بقوله: ﴿ولا يزكيهم﴾[1]، وبقوله: ﴿ولهم عذاب مهين﴾[2]. والعلم عند الله تعالى»[3].

والقول بعدم فناء النار- الذي نصره الشيخ الأمين رحمه الله ودلل له، وردّ على الشبه التي أوردها المخالفون، وناقشهم مناقشة جادة مبطلا بذلك مذهبهم- هذا القول هو معتقد أهل السنة والجماعة. أما ما نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله من القول بفناء النار فلا يصح؛ إذ لا يوجد في مؤلفات شيخ الإسلام رحمه الله- على كثرتها- ما يدلّ على أنه قال بهذا القول، بل تجده دائما يؤكد على عدم فناء النار؛ من ذلك قوله: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أنّ من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية؛ كالجنة والنار والعرش، وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين؛ كجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة وأئمتها»[4].

وأما ابن القيم رحمه الله: فقد حقق موقفه د/ علي بن علي جابر اليماني؛ حيث قال: «إنّ للعلامة ابن القيم في هذه المسألة ثلاثة مواقف: الأول: الميل[5] إلى القول بفناء النار:

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٧٤].

(٢) سورة آل عمران، الآية [١٧٨].

(٣) دفع إيهام الاضطراب ١٠/ ١٢٧-١٢٨.

(٤) الفتاوى ١٨/ ٣٠٧.

وقد كتب د/ علي بن علي جابر اليماني رسالة في الذبّ عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وردّ ما اشتهر على ألسنة بعض الناس من نسبة القول بفناء النار إليهما. وقد أورد عن شيخ الإسلام ابن تيمية خمسة عشر نصا من كلامه ابن تيمية نقلها من كتبه المعتمدة، يؤكد في هذه النصوص كلها على عدم فناء النار.

(انظر كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار ص٦٠-٦٩).

(٥) كون الإمام ابن القيم رحمه الله ينصر هذا الوجه على سبيل المناظرة لا يدل على الميل، بل المشهور عنه، الجزم بعدم فنائها.

كونه نصر ذلك بكثرة الوجوه البالغة خمسة وعشرين وجها بأدلتها المحيرة للعقول كما سبق بيانه عن الحادي، ومختصر الصواعق، وشفاء العليل. الثاني: التوقف؛ كما هو صريح كلامه في هذه المراجع المذكورة. الثالث: القول بأبدية النار تلميحاوتصريحا. . . - إلى أن قال: - وهذا هو الأخير من كلام ابن القيم رحمه الله كما يبدو لي. والله أعلم»[1]، ثمّ أيد ذلك بنصوص من كلام العلامة ابن القيم رحمه الله[2].

(١) انظر كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ص٧٨-٨٢.

(٢) انظر كلام ابن القيم في عدم فناء النار والقول بأبديتها في كتبه: الوابل الصيب ص٣٤. وزاد المعاد ١/ ٦٨. وطريق الهجرتين ص٢٥٤- ٢٥٥.

obeikandl.com